16 سيجريد إندست

«إن الحياة مليئة بالأشياء الرائعة والعجيبة. ولكن هذه الأشياء أكثر خطورة وثراء من كل القيم التى نحلم بها».

الروائـية الدنماركيـة الفائـزة بجائزة نوبل فى الأدب عام 1928 م.

صاحبة الثلاثية الشهيرة:

كريستين لافراندشاير، التى تدور حول التاريخ القديم للنرويج إبان عصر الفايكنج.

وهى التى ناهضت النازية عقب الغزو الألمانى لبلادها.

الميلاد وذكريات الطفولة:

ولدت الروائية الدنماركية «سيجريد إندست» Sigrid Undest فى 20 من شهر مايو عام 1882 م، بمنزل والدتها فى مدينة كالوند بورج بالدنمارك. وكان لها شقيقتان أصغر منها فى العُمر.

عندما بلغت الثانية من عُمْرها رحلت مع والديها إلى النرويج بسبب مرض أبيها الذى أجبره على عدم مواصلة رحلاته العلمية فى أوروبا.

وقد نشأت «سيجريد» فى عاصمة النرويج القديمة «كريستيانا» التى تغيَّر اسمها حالياً إلى أوسلو. كان والدها «انجفالد إندست» عالماً مشهوراً فى الآثار وكان عظيم

اهتمامه دراسة العصر الحديدى فى أوروبا علاوة على دراسة عصور ما قبل التاريخ النرويجى والأوروبى، وقد قام برحلاتٍ كثيرة فى ربوع أوروبا .

أمَّا والدتها وتُدعى «شارلوت» فكانت دنماركية ومهتمة بأعمال زوجها فى الآثار، وتتحدَّث اللغتين الألمانية والفرنسية، كما كانت متعمقة فى الثقافة النرويجية الأوروبية، هذه الحياة التى تدور حول دراسة الآثار، كان لها أكبر الأثر فى تكوين شخصية «سيجريد» الإبداعية .

لقد عاشت «سيجريد» طفولة سعيدة فى أوسلو بين أم مثقفة وأب من مشاهير علماء الآثار، إلاَّ أن وفاة الأب فى عام 1893م حطمت تلك السعادة، فقد توفى والدها متأثراً بمرضه وهو فى الأربعين من عُمْره، وابنته «سيجريد» فى الحادية عشرة من عُمْرها.

وكان على الأمّ أن تقوم بتربية وإعالة بناتها الثلاث، ممَّا جعل الأسرة فى عوز مالى دائم . لقد تركت مأساة الأسرة بصمتها على طفولة ومراهقة «سيجريد» .

«سيجريد إندست» .. بين السكرتارية وعشق الفن التشكيلى :

التحقت «سيجريد إندست» بمدرسة للسكرتارية لمدة عام، عملت بعدها سكرتيرة بشركة هندسية ألمانية بمدينة «كريستيانيا» (أوسلو) وهى فى السادسة عشرة من عُمْرها.

ورغم أنَّها لم تكن تميل إلى عملها هذا، إلاَّ أنَّها اكتسبت خبرة فى أعمال الإدارة والتنظيم فأفادتها بعد ذلك فى تنظيم حياتها المنزلية كزوجة وربة بيت وأديبة أيضاً .

ظلت «سيجريد» لمدة عشر سنوات تعمل فى مجال التجارة بين الأرقام والحسابات بينما كان قلبها مُعلق بعالم الإبداع والخيال والكتابة الأدبية، إلاَّ أن انتصر عشقها للإبداع فتركت عملها للتفرُّغ للكتابة حتى حققت نجاحاً ملحوظاً.

بجانب الموهبة الأدبية التى منحها اللهَّ لـ«سيجريد» فكانت تعشق الرسم، وبالفعل بدأت فى دراسته، لكن لضيق ذات اليد والحياة الفقيرة التى عاشتها هجرت دراسة الفن.

زواج لم يدم طويلاً :

يبدو أن عشق «سيجريد إندست» للرسم والفنون التشكيلية كان دافعًا للارتباط بفنان تشكيلي، فعندما رحلت إلى روما تعرَّفت على الرسام النرويجي «سفاردست» وكانت آنذاك في الثلاثين من عُمْرها، وكان هو أكبر منها بتسع سنوات، وله زوجة وثلاثة أطفال، ورغم ذلك أحبته وتزوجته في عام 1912 م بعد أن قام بتطليق زوجته الأولى . ثم رحل الزوجان إلى لندن لمدة ستة أشهر، حيث مارس زوجها الرسم، أمَّا هي فقد اهتمت بالفنون والأدب الإنجليزي وبعد عودتها إلى روما أنجبت «سيجريد» طفلها الأول .

كان زواجها وإنجابها لثلاثة أطفال هما الشغل الشاغل لها كإنسانة وامرأة، ولكن ذلك تسبب لها في مشكلة دمرَّت حياتها الزوجية، فعلاوة على أطفالها الثلاثة التي ترعاهم كان يعيش معها أطفال زوجها من زوجته الأولى، وكان ذلك يُمثل عبئاً قاسيا للقيام بشؤون المنزل، خاصة أن مولودتها الثانية كانت تُعاني الإعاقة، وكان لزوجها أيضا طفل يُعاني الضعف العقلي، فلم تجد «سيجريد» الوقت لإبداعها، فعكفت على الكتابة ليلاً بعد أن يخلد الجميع إلى النوم، وذات مرَّة أعلنت رفضها لهذه الحياة القاسية وقرَّرت الطلاق من زوجها بعد حياة استمرت ثلاثة عشر عاماً، وكان ذلك في عام 1925م.

الاتجاه إلى الكاثوليكية :

كان لنشوب الحرب العالمية الأولى تأثير كبير على أفكار ومعتقدات «سيجريد إندست»، فبدأت تتجه نحو المسيحية لعلَّها تكون الخلاص للعالم من خطر هذه الحرب المدمرة . لقد تربت في وسط يؤمن بالتسامح وحرية الفكر، ولم تكن تؤمن بأن العلم والمادة هما كل شيء في الحياة، فعبر أغلب كتاباتها يشعر القارىء أن الحياة لغز لا يمكن تفسيره بالعقل وحده فنشأت لديها الحيرة والشك، مما دفعها إلى الحياة الدينية لعلَّها تجد الهداية، لكنها لم تختر الانضمام إلى الكنيسة البروتستانتية السائدة في النرويج، بل انضمت في ذلك الوقت إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وقد قوبل اعتناقها الكاثوليكية

بدهشةٍ واستنكار شديدين من الشعب النرويجى الذى كانت أغلبيته الساحقة تدين بالمذهب البروتستانتى .

«سيجريد إندست» .. ومناهضة النازية :

لم تكن «سيجريد إندست» الأديبة الموهوبة منفصلة عن واقع عالمها الكبير الذى تعيش فيه، فمع الحرب العالمية الأولى كان لها من المواقف الرافضة لها، كذلك مواقفها المناهضة للنازية فى كتاباتها، خاصة عقب الغزو الألمانى للنرويج عام 1940م، ممَّا اضطرها للهرب إلى السويد، فقد كانت كتبها مُصادرة فى ألمانيا لموقفها الرافض لـ«هتلر» الزعيم النازى وسياسته الاستعمارية .

وكان ابنها الأكبر ضابطاً فى الجيش النرويجى وقد قتله الألمان فى أبريل عام 1940م، وعُمْره سبعة وعشرين عاماً .

لم تمكث «سيجريد» كثيراً فى السويد، فقد رحلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث وجهت نشاطها للدفاع عن قضية وطنها المحتل . ثم عادت إلى النرويج بعد أن تحرَّرت من الاحتلال الألمانى عام 1945 م، وعاشت بعد ذلك أربعة أعوام لم تكتب خلالها كلمة واحدة .

عالم «سيجريد إندست» الإبداعى :

أول عمل أدبى نشر للأديبة «سيجريد إندست» وتعرَّف به الوسط الأدبى عليها كان فى عام 1907م، عندما كانت فى الخامسة والعشرين من عُمْرها، بعنوان : «مدام مارت منسيه» والتى أعطتها الفرصة لجولةٍ أوروبية .

وعن طبيعة الكتابة لدى «سيجريد» فهى استغراقها التام فى الهموم الأنثوية ولا سيما العلاقات الزوجية وحقوق المرأة .

الثلاثية الروائية كريستين لافراند شاتر :

رواية تاريخية تدور أحداثها فى العصر القديم للنرويج إبان عصر الفايكنج :

تدور أحداث الرواية فى العصر القديم للنرويج، عصر الفايكنج غُزاة الشمال، وقد

كتبتها «سيجريد إندست» كنوع من التكريم لأبيها الباحث والعَالِم الأثرى الذى كرَّس حياته للتنقيب عن آثار الفايكنج، لذا جاءت هذه الرواية بمثابة حياة كاملة لتاريخ وعصر . ولم يكن لكاتبة أن تكتب مثل هذه الرواية إلاَّ إذا عرفت الكثير عن هذا التاريخ، وعن هؤلاء الناس، من الأعياد، والتقاليد، والأسواق، والثقافات الشعبية، والطقوس الدينية، الأسباب التى أدت إلى تحطيم هذه الممالك . ولقد نجحت هذه الثلاثية نجاحاً منقطع النظير .

الجزء الأول من الثلاثية يحمل عنوان «التاج» حيث ندخل إلى النرويج فى بداية القرن الرابع عشر . عصر ملىء بالمتاعب، وكريستين هى ابنة لافراند الذى يعمل فى بلاط الملك. إنَّها تعيش طفولة سعيدة بين أبويها . وعندما تبلغ السادسة عشر تُخطب، تبعاً لرغبة أبيها إلى «سيمون دار» وهو رجل طيب، كريم، تحترمه كثيراً، ولكنها لا تحبه بشكل عام؛ ممَّا يعنى أنَّها مستعدة لأن تفتح قلبها لرجل آخر هو «أرلند» وهو أب لطفلين ولدا من علاقته العاطفية بامرأة أخرى . وتتطوَّر الأحداث بسرعة، حيث تموت عشيقة «أرلند» مسمومة، تعترف كريستين لزوجها الطيب بأنَّها أصبحت خائنة، خاطئة، ولذا فإنَّها تطلب منه الصفح والغفران، ويعلم والدها بأنَّها حامل؛ فيسعى إلى أن يزوجها من عشيقها بأى ثمن!!

وبالفعل يُقام حفل ضخم لزواج كريستين بأرلند، والذى يُرزق بطفلين آخرين من زوجته الجديدة كريستين، ثم يدخل السجن بعد أن يتم اتهامه بأنَّه دس السُّم لعشيقته القديمة، وذلك بعد أن دبر له «سيمون دار» التهمة!!

الجزء الثانى من الثلاثية والذى يحمل عنوان «الصلب»، فيه تسعى كريستين إلى تربية أبنائها السبع من الرجلين اللذين تزوجتهما . لقد كبر الأطفال . وخرج «أرلند» من السجن، ولم يشأ أن يعود إليها . أمَّا «سيمون دار» فقد مات . وتحاول كريستين أن تعود إلى «أرلند» بأى ثمن، فتسافر إليه فى المنفى الذى اختاره لكنه يبقى عند موقفه، فتموت كريستين مصابة بحسرة شديدة .

وقد وصفت الروائية «سيجريد إندست» فى هذا العمل من خلال حياة هذه المرأة كيف عاش الأجداد فى النرويج، وكيف كانت وقائع الحياة هناك . علماً بأنَّها سعت

دوماً إلى اجتياز التاريخ مثلما فعلت فى أقصوصة «الساحرة» والتى استوحتها من إحدى قصص أندرسون . حيث حكت أن امرأة حاولت أن تكشف وهى تمر فى الغابة أنَّه لم تنظر إلى زوجها كما يجب . وإن عليها أن تعبر عن منظورها إليه.

رواية : زهور الأوركيد البيضاء :

حيث النساء اللاتى يحملن عبئاً كبيراً من العواطف المتناقضة !!

صدرت هذه الرواية فى عام 1929م . والكاتبة «سيجريد إندست» لا تخفى أن التحليل النفسى لـ «سيجموند فرويد» كان دافعاً لها وهى تكتب عن هؤلاء النسوة فى هذه الرواية أو فى رواياتها الأخرى ؛ فهن نساء يحملن عبئاً ثقيلاً وكبيرًا من العواطف المتناقضة، وتسكن فى داخل كل منهن أصوات الآباء والأمهات، ولذا فإن العالم الذى تفتحه الكاتبة للنساء متسع، وغير محدَّد المعالم، به الأضواء والظلال، وكما قالت الكاتبة: «إنَّ الحياة مليئة بالأشياء الرائعة والعجيبة، ولكن هذه الأشياء أكثر خطورة وثراء من كل القيم التى نحلم بها» .

رواية : الزوجة الخائنة :

المرأة التى ترفض أن تكون بالنسبة للرجل مُجرَّد جسد !!!

المرأة هى الشخصية الرئيسة فى إبداع الكاتبة «سيجريد إندست» مثلما فى «جينى» و «مدام مارت منسيه» فهما امرأتان يمكنهما أن تعيشا مستقلتين عن الرجال، وأن تكونا بمعزلٍ عن الناس .

ولقد عكست روايات «سجريد» فى المرحلة الأخيرة من عُمْرها إحساسها الدينى العميق، وكذلك اهتمامها بقضايا ومشكلات المرأة النرويجية، فبعد أن كانت «كريستين» فى الثلاثية الشهيرة خائنة، كانت المرأة فى الأعمال التالية تسعى للاستقامة والتدين وتهاجم النساء الخائنات مثل روايتها : «الزوجة الخائنة» التى صدرت فى عام 1936م. ففى هذه الرواية تسعى الزوجة أبداً أن تكون مستقلة اقتصادياً عن زوجها، إنَّها تُحب رجلا يُدعى «سيجرد» ولكنها ترفض أن تكون واقعة فى براثنه، أو أنانيته كرجل،

وترفض كذلك أن تكون بالنسبة له مجرَّد جسد وحسب، إنَّها تريد أن تكون شريكته فى كل شىء .

رواية : مدام دورثيا :

امرأة مُتمرِّدة، تتنازعها مشاعر شتى !!

وهى الرواية التى صدرت فى عام 1939م، حيث نرى امرأة متزوجة تضطر أن تنفصل عن زوجها، ولكنها تقع فريسة بين مشاعرها الدينية وبين أبنائها التى عليها أن تربيهم وبين أفكارها الغريبة التى تُسيطر عليها .

والرواية لا تدور فى العصر الحديث، بل إن الكاتبة «سيجريد إندست» تتعمَّد أن تجعلها تدور فى القرن الثامن عشر، باعتبار أن المرأة المُتمرِّدة على الرجل موجودة فى كل عصر .

وترى «سيجريد» أن هناك باباً ضيقاً أمام كل امرأة عليها أن تختاره كى تكون حرَّة، وكى تحتفظ بمعنوياتها .

«سيجريد إندست» .. والفوز بجائزة نوبل فى الأدب :

عن مُجمل أعمالها الأدبية الرائعة، وعن ثلاثيتها الروائية الشهيرة «كريستين لافراند شاتر» والتى نجحت نجاحاً هائلاً على مستوى القُرَّاء أو النُّقَّاد، استحقت الروائية «سيجريد إندست» أن تفوز بجائزة نوبل فى الأدب عام 1928م . وهى ثالث امرأة تفوز بجائزة نوبل فى الأدب، وثانى أديبة من المنطقة الإسكندفانية .

رحيل الكاتبة :

فى العاشر من شهر مايو عام 1949م، رحلت الروائية العالمية «سيجريد إندست» عن العالم متأثرة بمرضها الذى ألمّ بها، وذلك عن عُمْر يناهز 67 عاماً.